

الجزء الأول

كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ

١- أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ حَدَّثَنِي عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ، اسْتَنْطَقَهُ^١ ثُمَّ^٢ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ،^٣ فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَذْبِرْ، فَأَذْبَرَ. ثُمَّ

^١ أى: كلمه (مجمع البحرين وشرح المازندراني). يقال أنطقه الله واستنطقه أى: كلمه وناطقه (لسان العرب). وليس هنا بمعنى "طلبَ النطقَ منه" إذ لم يُذكر فيه نطق من جانب العقل.

^٢ كلمه "ثم" لمجرد الترتيب فى الذكر كما جاء نظيرها فى "ثم" الثانية فى قوله عز من قائل: "وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه" (السجدة ٧). ويحتمل أن يكون عطفاً على محذوف أى: "استنطقه فكان كيت وكيت ثم قال له أقبل" (انظر مغنى اللبيب ج ١ ص ١٥٩ الباب الأول فى مباحث "ثم").

^٣ الظاهر أن يكون المراد بذلك الكلام مجرد تشبيه العقل - فى كونه مطيعاً لأمر الله - بعد استنطقه مولاه فأمره ونهاه فامتثل ذلك. وذلك لأنّ العقل صفة للإنسان وليس له وجود على حدة حتى يخاطب ويؤمر فيمتثل. فعلى هذا يكون الكلام من ناحية استعارة - لعدم ذكر المشبه به أى العبد المطيع - وبالضبط استعارة بالكناية لكون التشبيه مضمراً فى

قَالَ: وَ^٤عَزَّتِي^٥ وَجَلَالِي^٦ مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ^٧ إِلَيَّ مِنْكَ وَلَا
أَكْمَلْتُكَ^٨ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبُّ. أَمَا^٩ إِنِّي إِيَّاكَ^{١٠} أَمْرٌ وَإِيَّاكَ أَنْهَى وَإِيَّاكَ
أُعَاقِبُ وَإِيَّاكَ أُثِيبُ.^{١١}

النفس، واستعارة تخيلية لإثبات لوازم المشبه به للمشبه. ومن ناحية أخرى تمثيلاً لأن وجه الشبه منتزع من عدة أمور. والمشبه به هنا خيالي (انظر المطول ص ٥١٩ في مباحث التشبيه و٦٠٤ في مباحث المجاز المركب). ويحتمل أن يكون هناك عالم آخر تحقق فيه هذا الاستنطاق والأمر والامتثال على وجه يليق بذاك العالم ولم يكن تكلماً خارجياً مترتباً على آلاته من اللسان والهواء والصوت ونحوها. وعلى أي حال، لعل الغرض من بيان الأمر بالإقبال والإدبار إظهار إطاعة العقل وأنه مطيع لا غير. والأمر بالإقبال كناية عن الأمر بما هو مطلوب ومحبوب كالواجبات. والأمر بالإدبار كناية عن النهي عما هو مكروه ومبغوض كالمحرّمات.

^٤ الواو للقسم ومتعلّقه واجب الحذف تقديره "أقسم وعزّتي وجلالي".

^٥ العزّة: حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب (مفردات الراغب). والعزيز: من أسمائه تعالى وهو الذي لا يعادله شيء أو الغالب الذي لا يُغلب (مجمع البحرين).

^٦ الجلال: التناهي في عظم القدر كما أن الجلالة: عظم القدر، وخُصّ الجلال بوصف الله تعالى فقيل "ذو الجلال والإكرام" (الرحمن ٢٧) ولم يُستعمل في غيره. والجليل: العظيم القدر، ووصفه تعالى بذلك إمّا لخلقه الأشياء العظيمة المستدلّ بها عليه أو لأنه يجلّ عن الإحاطة به أو لأنه يجلّ عن أن يُدرّك بالحواس (انظر مفردات الراغب).

^٧ "أفعل" هنا بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل كأشهر.

٢- عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ عَلِيٍّ ع قَالَ: هَبَطَ^{١٢}

^٨ أى: "ما خلقتك كاملاً إلا فيمن أحب من الأنبياء والأولياء ومن يتلو تلوهم." والمراد بالحب هنا الحب الخاص الذي يختص الكمل به، لا الحب بمعناه الواسع الموجود في القاصرين أيضاً. فالحديث بيان لقضية خارجية هي إكمال عقول الذين يحبهم الله، وبيان لفضل العقل. وفيه إشعار بأن مقدار العقل في شخص تابع لمحبوبته عند الله.
^٩ حرف تنبيه.

^{١٠} قَدَّمَ المفعول في المواضع الأربعة للحصر. والظاهر أن المراد بالعقل القوة العاقلة التي هي من صفات النفس، وهو إما منصوب بنزع الخافض أى: "بك أمر وبك أنهى..." ويؤيده ذكر الباء في المواضع المذكورة أو بعضها في بعض الأخبار (انظر من لا يحضره الفقيه ج ٤ باب ١٧٦ في النوادر ح ١). أو لم يحذف جاراً فالمراد المبالغة في اشتراط التكليف بالعقل، فكأنه هو المكلف حقيقةً (انظر مرآة العقول ج ١ ص ٢٨).

^{١١} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أن العقل سلم لأمر الله. ومنها: أن العقل أحب خلق الله. ومنها: أنه إنما يكون العقل كاملاً في الذين يحبهم الله. ومنها: أنه كلما كان الإنسان أحب إلى الله كان عقله أزيد، فالمحبوبة عند الله ومقدار العقل متلازمان. ومنها: أنه إنما يتوجه الأمر والنهي من الله إلى الإنسان لما فيه من العقل فهو الملاك لذلك، كما أنه الملاك لاستحقاقه الثواب والعقاب.

^{١٢} الهبوط: يقال للانحطاط من علو إلى أسفل (مجمع البحرين).

جَبْرَيْلُ عَلَى آدَمَ^{١٣} ع، فَقَالَ: يَا آدَمُ، إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخِيرَكَ^{١٤} وَاحِدَةً^{١٥}
مِنْ ثَلَاثٍ، فَاخْتَرَهَا وَدَعِ اثْنَتَيْنِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا جَبْرَيْلُ، وَ^{١٦} مَا الثَّلَاثُ؟

^{١٣} احتمال كون هذه القضية مجرد تمثيل كما استظهرنا في الحديث السابق بعيد. وذلك لأن الإخبار بهبوط جبرئيل وتكلمه مع آدم مما يدل على وقوع هذه القضية واقعاً، نظير قصة سجود الملائكة لآدم في القرآن (البقرة ٣٤). وحيث إن وجود الصفات الثلاث مستقلة عن الإنسان غير ممكن، لا بد من حمل هذا الجزء من الرواية على التمثيل، كما ورد نظيره في روايات البرزخ والقيامة من تمثّل الصفات الحسنه والقيحه بأشكال متناسبه لها. وحتى في هذه الدنيا تُتمثل واقعيّات لبعض الناس في عالم الرؤيا كما في قصة يوسف لما رأى عزّته في أهله بصورة سجدة الكواكب والشمس والقمر له (يوسف ٤). وكذلك تمثّلت سنو الجذب والقحط للملك بصورة البقرات والسنبلات (يوسف ٤٣). فلا بعد في تمثّل هذه الصفات الثلاث لآدم ليتعلّم حقيقة التلازم بينها بأسلوب الحسّ والمشاهدة بدلاً من مجرد الألفاظ والمفاهيم كما يُعهد عندنا.

^{١٤} الظاهر أن آدم - حين هبوط جبرئيل - كان ذا حياء وعقل ودين، والأمر باختيار واحدة لا ينافي حصول الجميع لإمكان تعلّق الاختيار بإبقائها. على أنّه يحتمل أن يكون المراد كمال تلك الخلال بعد أصل ثبوتها بحسب قابليّة آدم (انظر مرآة العقول ج ١ ص ٧٣).

^{١٥} تأنيث "واحدة" وتذكير "ثلاث" باعتبار إرادة الخصلة الواحدة من ثلاث خصال.
^{١٦} الظاهر أن يكون الواو للعطف على محذوف والتقدير "قبلتُ وما الثلاث؟" بناءً على جواز عطف الإنشاء على الإخبار. أو هو عطف محذوف على محذوف والتقدير "دمّ على كلامك وقل ما الثلاث؟"

فَقَالَ: الْعَقْلُ وَالْحَيَاءُ وَالِدَيْنِ.^{١٧} فَقَالَ آدَمُ: إِنِّي قَدْ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ. فَقَالَ
جَبْرَائِيلُ لِلْحَيَاءِ وَالِدَيْنِ: أَنْصِرْفَا^{١٨} وَدَعَاهُ.^{١٩} فَقَالَا: يَا جَبْرَائِيلُ، إِنَّا أَمْرْنَا^{٢٠} أَنْ
نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ.^{٢١} قَالَ: فَشَانِكُمَا،^{٢٢} وَعَرَجَ.^{٢٣}

^{١٧} إِنَّ لِلإِنْسَانَ قُوَّةً سَمِّيَتْ بِالْعَقْلِ، بِهَا يَدْرِكُ الْحَقَائِقَ. وَقُوَّةٌ سَمِّيَتْ بِالْحَيَاءِ، بِهَا يَنْفَعَلُ بِمَا
يَرَاهُ قَبِيحًا، سِوَاءِ أَكَانَ قَبِيحًا فِي الْوَاقِعِ أَمْ لَا، كَمَا اسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ الْحَيَاءِ لِهَمَا فِي حَدِيثِ
رَسُولِ اللَّهِ "الْحَيَاءُ حَيَاءَانِ، حَيَاءُ عَقْلٍ وَحَيَاءُ حَمَقٍ." وَقُوَّةٌ سَمِّيَتْ بِالِدَيْنِ أَوْ التَّدِينِ، بِهَا
يَقْتَدِرُ عَلَى فِعْلِ مَا يَرَاهُ طَاعَةً، سِوَاءِ أَكَانَ فِي الْوَاقِعِ طَاعَةً لَلَّهِ أَمْ لِلطَّاعُوتِ كَمَا اسْتَعْمَلَ
كَلِمَةَ الدِّينِ لِهَمَا فِي "لَكُمْ دِينِكُمْ وَلِيَ دِينٍ" (الْكَافِرُونَ ٦). فَالْعَقْلُ، بِمَا أَنَّهُ مَدْرَكُ
الْحَقَائِقِ، يَحْكُمُ بِحَسَنِ أَصْلِ الْحَيَاءِ وَالتَّدِينِ. وَبَعْدَ حَصُولِهِمَا، هُوَ الَّذِي يَسُوقُ الْحَيَاءَ إِلَى
جَانِبِهِ الْمَمْدُوحِ حَتَّى لَا يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَنِ الْقَبِيحِ الْوَاقِعِيِّ. وَكَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَسُوقُ
التَّدِينِ إِلَى جَانِبِهِ الْمَمْدُوحِ حَتَّى لَا يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَّا إِلَى الطَّاعَةِ الْوَاقِعِيَّةِ. فَاللزوم من
جَانِبِ الْعَقْلِ فَقَطْ وَليْسَ مِنْ جَانِبِهِمَا كَمَا يُرَى فِي الطِّفْلِ الْمَسْتَحْيِي مِنْ سؤَالِ أَسْتَاذِهِ، فَإِنَّ
حَيَاءَهُ نَاشِئَةً مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ. وَكَمَا كَانَ يُرَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْخَوَارِجِ، فَإِنَّ دِينَهُمْ كَانَ
نَاشِئًا عَنِ الْأَوْهَامِ. فَلذَلِكَ لَوْ اخْتَارَ آدَمُ إِحْدَى الْأَخْرِيَيْنِ لَمْ يَتَّبِعْهُمَا الْعَقْلُ. وَلَكِنْ لَمَّا
اخْتَارَ الْعَقْلُ تَبَعْتَهُ الْأَخْرِيَانِ.

^{١٨} فَعَلَ أَمْرًا خَطَابًا لِلْحَيَاءِ وَالدِّينِ.

^{١٩} أَمْرًا لِلْحَيَاءِ وَالدِّينِ مِنْ وَدَعَّ يَدْعُ أَي: "اتركا آدَمَ مَعَ الْعَقْلِ" أَوْ "اتركا الْعَقْلَ لِآدَمِ."

^{٢٠} هَذَا الْأَمْرُ أَمْرُ تَكْوِينِ لَا أَمْرُ تَشْرِيحِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ
نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (النحل ٤٠، انظر شرح المولى صدرا ج ١ ص ٢٢٠).

^{٢١} أَي: "وُجِدَ."

٣- أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ
إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا الْعَقْلُ؟ قَالَ: ^{٢٤} مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ ^{٢٥} وَ

^{٢٢} الشأن: الأمر والحال أى "الزما شأنكما" أو "شأنكما معكما" (مرآة العقول ج ١ ص ٣٢).
فهو على الأول منصوب على الإغراء وعلى الثانى مرفوع. ومحصل المعنى على الوجهين:
"أنما مختاران فيما تريدانه من البقاء فى جنب العقل."
^{٢٣} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أن العقل مع الحياء والدين. ومنها: يكشف نقص
الحياء والتدين عن نقص العقل. ومنها: أن التعقل أى استعمال العقل يقيم الحياء والتدين.
ومنها: أن أولياء الله يشاهدون الواقعيات الحاكمة على التكوين فى أشكال مناسبة لها.
^{٢٤} كان السؤال عن ماهية العقل وتعريفه، لكن الجواب ببعض آثاره المطلوبة منه على
سبيل تلقى السائل بغير ما يتطلب إشارة إلى أن الأولى أو المهم هو السؤال عن آثاره
وخواصه المطلوبة منه لا عن ماهيته كما فى قوله تعالى: "يسألونك ماذا ينفقون قل ما
أنفقتم من خير... " (البقرة ٢١٥) (انظر شرح المازندراني ج ١ ص ٧٤، والدر المنظوم
ص ١٣٧، والمطول ص ٢٩٥ فى مباحث الخروج عن مقتضى الظاهر). قال المازندراني:
هذا التعريف إشارة إلى القوة النظرية المسماة بالعقل النظرى وإلى القوة العملية المسماة
بالعقل العملى إذ بالأولى يُعلم المعارف الإلهية والأحكام الشرعية والأخلاق الحسنة
النفسانية، وبالثانية يعمل بها (أى بالمعارف والأحكام...) ويهذب الظاهر والباطن وبالعلم
والعمل جميعاً يتم نظام عبادة الرحمن واكتساب الجنان (شرح المازندراني ج ١ ص ٧٤).
ولكن الظاهر أنه إشارة إلى العقل العملى إذ به يُعبد الرحمن ويكتسب الجنان وإن كان
هو مبنياً على العقل النظرى.

اَكْتَسَبَ بِهِ الْجَنَانَ. ^{٢٦} قَالَ: قُلْتُ: فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ؟ ^{٢٧} فَقَالَ: تِلْكَ
النَّكْرَاءُ، ^{٢٨} تِلْكَ الشَّيْطَانَةُ، ^{٢٩} وَهِيَ شَبِيهَةٌ ^{٣٠} بِالْعَقْلِ وَكَيْسَتْ بِالْعَقْلِ. ^{٣١}

^{٢٥} اختصاص هذا الاسم بالذكر إما من أجل أنه علمٌ كلفظة "الله" فهو الجامع لجميع الكمالات (انظر معنى اللبيب ج ٢ ص ٦٠١ الباب الرابع، فيما افترق فيه الحال والتمييز) أو من أجل أنه صفة مشتقة من الرحمة فتكون إشارة إلى أن الرحمة الإلهية مقتضية لعبادته تعالى ومحركة للعبد إليها.

^{٢٦} بكسر الجيم جمع الجنّة وأما الجنان فهو مفرد بمعنى القلب.

^{٢٧} إما مبتدأ محذوف خبره أى: "فالذى كان فى معاوية ما هو؟" أو خبر محذوف مبتدأه أى: "فما الذى كان فى معاوية؟" (شرح المولى صدرا ص ٢٢٩). ويشهد للأخير ما فى بعض النسخ: فما الذى... " (مرآة العقول ج ١ ص ٣٣). قد يُسمّى الناس النكراء عقلاً وكان ذلك منشأ السؤال والالتباس. وأما أهل الحق فلا يسمونها عقلاً. قال صدر المتألهين: الرابع من معانى العقل: الشىء الذى به يقول الجمهور فى الإنسان إنه عاقلٌ ومرجعه إلى جودة الروية وسرعة التفطن فى استنباط ما ينبغى أن يفعل أو يترك وإن كان فى باب الأغراض الدنيوية وهوى النفس الأمارة بالسوء. فإنّ الناس يسمون من له هذه الروية المذكورة عاقلاً ويعدون معاوية من جملة العقلاء. وأما أهل الحق فلا يسمون هذه الحالة عقلاً بل أسماءً آخر كالنكراء أو الشيطنة أو الدهاء أو شبه هذه الأسماء (ج ١ ص ٢٢٥). وهذا الكلام من الإمام تخطئه لتسمية العرف تلك الجودة المستخدمة للنفس الأمارة عقلاً وأنها ليس عقلاً حقيقةً.

^{٢٨} "تلك" مبتدأ و"النكراء" خبره وكذلك جملة "تلك الشيطنة". وجملة "تلك الشيطنة" بدل مما قبلها إما تأكيداً له كقوله: "فقلت له ارحل لا تُقيم عندنا." وذلك أن

النكراء اسم من الإنكار بمعنى المنكر (مجمع البحرين) وهو كل ما قبحه وكرهه العقل أو الشرع (شرح المازندراني ج ١ ص ٧٥). أو مخصصاً له لما في مرآة العقول: النكراء: الدهاء والفتنة وهي جودة الرأي وحسن الفهم. وإذا استعملت في مشتبهات جنود الجهل يقال له الشيطنة، ونبه (ع) عليه (أى على هذا الاستعمال) بقوله "تلك الشيطنة" بعد قوله "تلك النكراء" (ج ١ ص ٣٣). ويؤيده ما في تاج العروس: النكر والنكارة والنكراء والنكر: الدهاء والفتنة (تاج العروس). فتكون الجملة الثانية مخصصة للأولى بأن المراد بالنكراء ليس مطلقاً جودة الروية بل الجودة التي هي في خدمة الشيطان. والثاني أرجح.

^{٢٩} قال في تاج العروس: شَيْطَنَ وَتَشَيْطَنَ: صار كشيطان وفعل فعله. وهي فِعْلَةٌ من شَطَنَ إذا بُعد. وهي ملحقة بدحرجه كما أن تَشَيْطَنَ ملحق بتدحرج. واحتمل أن يكون فَعْلَةٌ من شَاطَ إذا بطل. نُقِلَ عن الزمخشري أن سيبويه جعل نونَ الشيطان في موضع من كتابه أصلياً وفي آخر زائدة، والدليل على أصالتها قولهم "تشيطن" واشتقاقه من شطن إذا بُعد لبعده أى الشيطان من الصلاح والخير، ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة (مجمع البحرين مادة شيطان).

^{٣٠} وجه الشبه إما أن النكراء حالة للنفس وقوة محركة إلى منافعها كما أن العقل كذلك (شرح المازندراني ج ١ ص ١٧٥) أو أنهما جودة الروية إلا أن العقل للخير والآجل والنكراء للشرّ والعاجل (انظر شرح المولى صدرا ص ٢٢٨).

^{٣١} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أن العقل قوة دافعة إلى تحصيل معرفة الله وعبادته ووسيلة لكسب الجنة. ومنها: أن من لم يستعمل عقله لتحصيل معرفة الله وعبادته ووسيلة لكسب الجنان لم يستعمله حق استعماله وفي الواقع ليس له عقل. ومنها: أن معاوية وأضرابه الذين وهبهم الله جودة الروية ولم يستعملوها لرضا واهبها ليسوا عقلاء بل شياطين.

٤- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ
الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: سَمِعْتُ الرُّضَاعَ يَقُولُ: صَدِيقٌ^{٣٢} كُلُّ امْرِئٍ^{٣٣} عَقْلُهُ،
وَ عَدُوُّهُ جَهْلُهُ^{٣٤ ٣٥}.

^{٣٢} كما أن صديق كل رجل يجلب له الخير ويدفع عنه الشرّ وعدوّه على العكس، كذلك عقله يجلب له المنافع ويدفع عنه المضارّ وجهله على العكس، إذ بالعقل يعرف الحلال والحرام وأحوال المبدأ والمعاد ويسلك سبيل الهداية والرشاد ويميّز بين الحقّ والباطل ويعبد الرحمن ويكتسب الجنان، فهو أجدر بإطلاق الصديق عليه وأولى، إذ كلّ صديق غيره لا ينفع بدونه. وبالجهل يغفل عن جميع ذلك ويسلك سبيل الغيّ والجهالة ويسعى في طريق الشرّ والضلالة ويعبد الشيطان ويكتسب غضب الرحمن، فهو أليق بإطلاق العدوّ عليه وأحرى، إذ كلّ عدوّ غيره لا يضرّه بدونه (شرح المازندراني ج ١ ص ٧٦).

^{٣٣} هذا الكلام نظير قوله "تميميّ أنا" من تقديم المسند لإفادة الحصر أي: "لا صديق لكل امرئ إلّا عقله ولا عدوّ له إلّا جهله." وتنكير "صديق" واشتقاق "عدوّه" يؤيد كونهما خبرين لا مبتدئين. والمحصور هو المسند أعنى الصداقة والعداوة والمحصور فيه هو المسند إليه أعنى العقل والجهل. وهذا الحصر من موارد قصر الصفة على الموصوف، أي: ينحصر وصف الصداقة في العقل ادّعاءً لما فيه من الإرشاد والنصيحة، كما ينحصر وصف العداوة في الجهل أي السفاهة وقلة العقل. وليس المراد بالحصر نفى صداقة سائر الأصدقاء بل المراد بيان منزلة هذا الصديق من بينهم.

^{٣٤} الظاهر أن معنى الرواية أن صديق كل إنسان هو تعقله واستعمال عقله في الطريق الصحيح لأنّ له الآثار النافعة للإنسان والجالبة للخيرات والدافعة للمضارّ كالصديق الذي ينفع الإنسان ويرشده إلى الخيرات ويمنعه عن المضار. وعدوّ كل إنسان عدم استعمال

٥- وَ عَنْهُ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ:
 قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ ع: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا لَهُمْ مَحَبَّةٌ،^{٣٦} وَ لَيْسَتْ لَهُمْ تَلَكَّ^{٣٧}
 الْعَزِيمَةُ،^{٣٨} يَقُولُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ. فَقَالَ: لَيْسَ أَوْلَيْكَ مِمَّنْ عَاتَبَ^{٤٠} اللَّهُ.
 إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ: فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ^{٤١} .^{٤٢}

هذه القوة وتعطيها لأنه ينتهي إلى السفاهة والجهالة وارتكاب القبائح والمضار. وحيث
 إنَّ العدوَّ هو كل ما يضرُّ الإنسان، فعدم استعمال العقل عدوه باعتبار ما يترتب عليه من
 المضار. و لا يخفى أنَّ الجهل هنا ليس بالمعنى المضادَّ للعلم بقريته المقابلة.
^{٣٥} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أنه ينبغي أن يتخذ العاقل صديقاً والجاهلُ عدوًّا لأنَّ
 الجهل إذا كان عدوًّا لصاحبه فهو عدو لصديق صاحبه، والعقل إذا كان صديقاً لصاحبه
 يكون صديقاً لصديق صاحبه كما قال عليّ ع: أصدقاؤك ثلاثة وأعداؤك ثلاثة إلخ
 (نهج البلاغة الحكمة ٢٩٥)، ولذلك كثر الأمر في الأحاديث بملازمة العالم بما أنه عاقل
 ومفارقة الجاهل. و منها: ترغيب الإنسان إلى طاعة عقله ومعصية جهله. و منها: أنَّ العقل
 صديق الإنسان الحقيقي بدلالة الحصر. و منها: أنه لا يختصَّ المسلمون بمفاد هذا الحديث
 (لمكان قوله "كل امرئ") بل يعمُّ كلَّ إنسان، فليتعرف عليه وليهتد به.
^{٣٦} لعلَّ تنكير المحبة يشير إلى تعظيمها (انظر الدر المنظوم ص ١٣٩).
^{٣٧} في قوله "تلك" دلالة على عظمة العزيمة وأنَّ المراد بها معنى خاصَّ نظير قوله تعالى:
 "ذلك الكتاب" (البقرة ١) تنزيلاً لبعده درجته ورفعه مكانته منزلةً بعد المسافة (انظر
 المطول ص ٢٢٣ في مباحث أحوال المسند إليه قسم تعريفه بالإشارة).
^{٣٨} العزيمة: يقال عَزَمْتُ على كذا...عزيمةً إذا أردتَ فعله وقطعتَ عليه (صحاح اللغة).
 فالمراد بها هنا إرادة فعل جميع الطاعات وترك جميع المحرّمات.

٣٩ الظاهر أنّ جملة "يقولون بهذا القول" صفة ثانية لكلمة "قوماً" فمحصل المعنى "إنّ عندنا قوماً يحبّونكم ويعتقدون بإمامتكم وليس لهم الرسوخ في الدين بحيث يسهل عليهم إطاعة جميع أوامر الله تعالى ونواهيهِ. فكيف حالهم؟ وهل يعاقبون على ضعف عزيمتهم؟" فأجاب الإمام بأنهم ليسوا ممن عاتبهم الله على ضعف عزيمتهم لأنهم ليسوا من أولى الأبصار والعقول بل من المستضعفين الذين لا يمكنهم التمييز التام بين الحقّ والباطل. وإنما العقاب على قدر البصيرة والعقل. والشاهد على هذا المعنى ما سيأتي في الحديث ٣٢ من هذا الكتاب من الكافي عن الحسن بن الجهم أيضاً. وما احتمله بعضهم من كون الجملة استفهاماً ضعيفاً لنفس الشاهد. ولعلّ المصنّف ذكره مرتين لاعتبار سندهما واشتمال كلّ منهما على خصوصية ليست في الآخر، فيعين كلّ منهما على فهم مراد الإمام.

٤٠ أى ممن خاطبهم الله خطاباً عتابياً. والمفهوم من ظاهر الآية (الحشر ٢) أنّ الله طلب منهم الشكر على نعمه، لا أنه عاتبهم. لكن ظاهر هذا الحديث أنّ الله تعالى عاتبهم وطلب منهم أن يعتبروا ويحسبوا أنفسهم من المعذّبين لو خالفوا الله. وقد قيل إنّ "عاتب" بمعنى "خاطب" فليس المراد الملامة (انظر مجمع البحرين).

٤١ البصر: يقال للجارحة الناظرة نحو قوله تعالى: "كلمح البصر" (النحل: ٧٧) وللقوة التي فيها. ويقال لقوة القلب المدركة بصيرةً وبصرٌ نحو قوله تعالى: "فبصرك اليوم حديد" (ق: ٢٢). وجمع البصر أبصار وجمع البصيرة بصائر (مفردات الراغب).

٤٢ يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أنّ الاعتقاد الصحيح بالإمامة لا يمكن إلا بواسطة العقل الوافر. ومنها: عدم كفاية المحبّة في الإيمان بالإمامة.

٦- أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ عَنْ
 سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع: مَنْ كَانَ
 عَاقِلًا^{٤٣} كَانَ لَهُ دِينٌ^{٤٤}، وَمَنْ كَانَ لَهُ دِينٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ^{٤٥}.

^{٤٣} المراد بالعقل هنا المستعمل للعقل، لا مَنْ كان له عقل وإن لم يستعمله. فنظير معاوية
 ليس بعقل بهذا المعنى، ومن ليس له إلا نصاب العقل واستعمله فهو عاقل. والمراد بالعقل
 هنا هو المراد بقوله: "العقل مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجَنَانُ."
^{٤٤} المراد بالدين هنا الدين الصحيح وهو مجموع ما جاء به النبيّ الشامل للاعتقادات
 والعمل على أساسها. ولما كان الإمام في مقام بيان الارتباط بين العقل والدين لم يذكر
 فيه وصف الصحّة وإن كان مراداً. فهو نظير قوله تعالى "يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" (الكهف
 ٧٩) حيث إنّ المراد بالسفينة هو الصالحة السليمة إذ لو أبقى اللفظ على عمومته لم تكن
 للتعبير فائدة (انظر مغنى اللبيب ج ٢ ص ٨١٨، الباب الخامس، بحث في حذف الصفة،
 وروح المعاني وحاشية الشهاب ذيل الآية المذكورة). وكذلك لو أبقى لفظ الدين على
 عمومته دلّ على أنّ كل من تدين بدين دخل الجنة ولو كان مشركاً. فظهر عدم منافاة
 الحديث للآية: "و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه" (آل عمران ٨٥) إذ الدين
 المذكور هنا وفي الآية واحد.

^{٤٥} قال صدر المتألهين: "كلامه (ع) في صورة قياس منطقيّ اقترانيّ شرطيّ من الشكل
 الأوّل من أعلى ضروبه لأنّ المراد: كلّ من كان عاقلاً كان له دين وكلّ من كان له دين
 دخل الجنة، فينتج: كلّ من كان عاقلاً دخل الجنة. فظهر أنّ الملازمة من جانب واحد
 أي: "كلّ عاقل متدينٌ وليس كلّ متدينٍ عاقلاً." بيان الملازمة: أن المراد بالعقل من كان

٧- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
بْنِ يَظِينَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانَ عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: إِنَّمَا
يُدَاقُ^{٤٧} اللَّهُ الْعِبَادَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^{٤٨} عَلَى قَدَرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ
فِي الدُّنْيَا.^{٤٩}

صحيح الفكر وكان عاملا بمقتضى فكره الصحيح فيلزمه أن يكون متديناً (انظر شرح
المولى صدرا ج ١ ص ٢٣٦).

^{٤٦} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: من تعقل اهتدى إلى الدين الحق فدخل الجنة.
ومنها: العقل منفرداً لا يوصل الإنسان إلى الجنة بل يصل إلى الجنة بواسطة الدين.

^{٤٧} المداقّة: مفاعلة من الدقة أى أن تداق صاحبك الحساب. ومنه الحديث: "بع بيع
البصير المداق" أى المداق في الأمور (انظر مجمع البحرين). فالمعنى أن مناقشتهم في
الحساب وأخذهم على الجليل والدقيق على قدر عقولهم (انظر مرآة العقول ج ١ ص ٣٤
وحاشية رفيع الدين ص ٤٧).

^{٤٨} سميت بالقيامة لقوله تعالى: "يوم يقوم الروح والملائكة صفاً" (النبا ٣٨) أو لقوله
تعالى: "يوم يقوم الناس لرب العالمين" (المطففين ٦). وفي الميزان أن معنى قيام الناس
في ذلك اليوم بعثهم من القبور لأجل الحكم والقضاء.

^{٤٩} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أن قدر المداقّة يوم القيامة على قدر العقل. ومنها:
عقول أفراد البشر متفاوتة (شرح المولى صدرا ج ١ ص ٢٣٧). ومنها: لما كان الأنبياء أكمل
الناس عقلاً، محاسبتهم يوم القيامة أدق المحاسبات. ومنها: التسامح في الحساب لا يدل
على فضيلة في الإنسان بل ربما يحكى عن نقصان العقل. ومنها: أن التكاليف واقعة على
حسب العقول وذلك لأن حسابه تعالى عباده بحسب امتثالهم تكاليفه وأحكامه، فإذا

٨- عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَحْمَرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع: فُلَانٌ ^{٥٠} مِنْ عِبَادَتِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ! ^{٥١} فَقَالَ: كَيْفَ عَقْلُهُ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ: إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ. ^{٥٢} إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ ^{٥٣} يَعْبُدُ اللَّهَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ

كانت الحساب بحسب قدر العقول كما فى الروايه، علم أن التكليف أيضا بقدر العقول وأن الأمور الثلاثة - أعنى العقل والتكليف والحساب - على قدر واحد.

^{٥٠} فلان مبتدأ خبره محذوف أى: "فلان من جهة عبادته ودينه وفضله كامل أى: بالغ إلى مرتبة لا يمكن وصفها وذكرها." فحذف المسند ليذهب السامع كل مذهب ممكن، نظير حذف الجزاء فى قوله تعالى: "و لو ترى إذ وقفوا على النار" (الأنعام: ٢٧)، انظر المطول ص ٤٨٧ فى باب الإيجاز بحث حول الإيجاز بالحذف وشرح المولى صدرا ج ا ص ٢٣٨). ولم يذكر اسمه بعينه لأنه ليس فى معرفته كثير فائدة إذ ليس الغرض مجرد حكاية قصة، أو لأنه لم يكن مشهورا فذكر اسمه لا يفيد السامع شيئا.

^{٥١} المراد بالدين هنا طاعته لله بالعمل بالتكاليف الشرعية فهو أعم من العبادة. والفضل: الزيادة والمراد به هنا رفعة المنزلة. فمعنى قول الراوى: "فلان كامل من جهة عبادته وطاعته لله ورفعة منزلته عند الله."

^{٥٢} بما أن الراوى كان فى مقام الاستحسان من عبادته وظن أنه فى أعلى درجات الجنة وأن الثواب على قدر العبادة فحسب، دفع الإمام ذلك التوهم بأن درجة الثواب بحسب العقل لا بحسب مجرد العبادة وأن الملاك فى قرب الشخص إلى الله ومرتبته عقله لا عبادته فحسب.

^{٥٣} يدل على الاستمرار.

جَزَائِرِ الْبَحْرِ خَضْرَاءَ نَضْرَةٍ،^{٥٤} كَثِيرَةَ الشَّجَرِ، ظَاهِرَةَ الْمَاءِ.^{٥٥} وَإِنَّ مَلَكًا مِنْ
الْمَلَائِكَةِ مَرَّ بِهِ فَقَالَ: ^{٥٦} يَا رَبِّ، أُرْنِي ثَوَابَ عَبْدِكَ هَذَا. فَأَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
ذَلِكَ فَاسْتَقَلَّهُ^{٥٧} الْمَلِكُ. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ اصْحَبْهُ. فَأَتَاهُ الْمَلِكُ
فِي صُورَةٍ إِنْسِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: ^{٥٨} مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ عَابِدٌ^{٥٩} بَلَّغَنِي

^{٥٤} هي صفة بعد صفة. والنضرة: الحُسن والرونق، وقد نضرت وجهه أى حسُن ونضرت الله وجهه، يتعدى ولا يتعدى... وقولهم: أخضر ناضراً إنما هو كقولهم: أصفر فاقع وأبيض ناصع (صحاح اللغة).

^{٥٥} يعنى أن ماء البحر كان بمرأى من كل من فى تلك الجزيرة أو أن ماءها كان جارياً على وجه الأرض (شرح المازندراني ج ١ ص ٨١).

^{٥٦} الفاء فصيحة عطفاً على محذوف أى: "مرّ بذلك العابد فرأى حاله وظاهر عبادته فاشتاق إلى معرفة مقدار ثوابه فقال..."

^{٥٧} أى: عدّه قليلاً بالنسبة إلى عبادته (شرح المازندراني ج ١ ص ٨١). وهذا يدلّ على جواز الخطأ على الملائكة فى فكرهم وجهلهم ببعض الأمور إلا ما شاء الله، كما فى قوله تعالى: "قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" (البقرة: ٣٠). واعلم أنه ليس الغرض من استقلال ذلك الملك الاعتراض على الله لأن ذلك ينافى عصمته بل الغرض طلب سبب قلته، نظير الآية الآنفه ونظير قول الرسول والذين آمنوا معه "متى نصر الله؟" (البقرة: ٢١٤).

^{٥٨} أى: "فقال العابد للملك."

^{٥٩} ظاهر جواب الملك خلاف الواقع فإنه لم يكن رجلاً، ولم يبلغه مكانه وعبادته بل مرّ به ورآه بنفسه، ولم يأته ليعبد الله معه، بل أتاه للاطلاع على حقايرة ثوابه. لكن الملك إما

مَكَانِكَ^{٦٠} وَ عِبَادَتِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، فَأَتَيْتُكَ لِأَعْبُدَ اللَّهَ مَعَكَ. فَكَانَ
مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ.^{٦١} فَلَمَّا أَصْبَحَ^{٦٢} قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: إِنَّ^{٦٣} مَكَانَكَ لَنَزَةٌ^{٦٤} وَمَا
يَصْلُحُ إِلَّا لِلْعِبَادَةِ. فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنَّ لِمَكَانِنَا هَذَا عَيْبًا. فَقَالَ لَهُ: وَمَا هُوَ؟
قَالَ: لَيْسَ لِرَبِّنَا بِهِمَةٌ. فَلَوْ كَانَ لَهُ حِمَارٌ رَعَيْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. فَإِنَّ هَذَا

وررى ولم يكذب على القول بافتراق التورية والكذب. وإما كذب للوصول إلى غرض
أهم وهو اليقين بحكمة فعل الله ولم يستطع الوصول إليه إلا بهذه الطريق. نظير قول
إبراهيم "إني سقيم" (الصافات ٨٩) وقوله الآخر عند رؤية الكوكب "هذا ربي" وعند
رؤية الشمس "هذا ربي، هذا أكبر" (الأنعام ٧٦ و٧٨). ويحتمل أن يكون مراده أنه بلغه
وصف مكان العابد - بواسطة إعلامه تعالى أو إخبار ملك آخر - قبل مروره ورؤيته له
وأن العبادة كانت من أغراضه أيضا، وإن لم يكن غرضه الأصلي، ويصدق ذكر غرض
ثانوى تعليلاً للفعل كما يصدق ذكر الغرض الأصلي له، وعلى هذا لا تورية ولا كذب.

^{٦٠} المكان: الموضع أى: بلغنى الموضع الذى تعيش فيه.

^{٦١} أى: فى ذلك اليوم.

^{٦٢} أى: فى اليوم التالى.

^{٦٣} بالغ فى التأكيد مع أن نزاهة المكان أمر محسوس غير قابل للإنكار لأنه رأى العابد
مشتغلا بعبادة ربه معرضاً عما سواه بحيث لا يخطر بباله المكان والمكانيات أصلاً بل كأنه
ينكر وجود غيره بالكلية فهو بهذا الاعتبار صار منكرًا مصرًا، فناسب الخطاب معه تأكيداً
(شرح المازندراني ج ١ ص ٨٢).

^{٦٤} أى: "إن مكانك فى هذه الجزيرة الخضراء لنزَةٌ أى: بعيد عن المكروه" (مجمع
البحرين مادة نزه).

الْحَشِيشَ يَضِيعُ. فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ: وَمَا لِرَبِّكَ حِمَارٌ؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ لَهُ حِمَارٌ مَا كَانَ يَضِيعُ مِثْلُ هَذَا الْحَشِيشِ. ^{٦٥} فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْمَلِكِ: إِنَّمَا أُثِيبُهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ ^{٦٧ ٦٨}.

^{٦٥} "ما" نافية، وهمزة الاستفهام مقدّرة.

^{٦٦} ليس هذا - كما قال المازندراني (ج ١ ص ٨٣) وغيره من الشراح - قياساً استثنائياً نظير قوله تعالى: لو كان فيهما آلهة... " بحيث يفيد رفع التالي رفع المقدّم، بل هو من استعمال "لو" لدلالاتها على أنّ المقدّم سبب التالي ونفى السبب يوجب نفى التالي. قال التفتازاني: "لو لامتناع الثاني لامتناع الأول...إنها للدلالة على أن انتفاء الثاني في الخارج إنما هو بسبب انتفاء الأول. فمعنى "لو شاء الله لهداكم" (النحل ٩) أن انتفاء الهداية إنما هو بسبب انتفاء المشيئة. يعنى إنها تُستعمل للدلالة على أن علة انتفاء مضمون الجزاء في الخارج هي انتفاء مضمون الشرط" (المطول ص ٣٣٤). فحاصل هذا الكلام أن عدم وجود الحمار للربّ في الخارج سبب لضياع مثل هذا الحشيش.

^{٦٧} قلّة عقله لوجوه: الأول تصوّره أنّ الله جسم، يركب الدوابّ. والثاني توهمه أن الله أضعاف حشيشه وكأنه خلقه عبثاً. والثالث تصوّره أنّ الحشيش ضائع لأنه لم يُخلق إلا لعلف الدوابّ. ولو لم يكن عقله ناقصاً لعلم أنّ الله تعالى ليس بجسم وهو مستغن عن ركوب الدوابّ وأنّه حكيم لم يخلق شيئاً عبثاً وأنّ هذا الحشيش مخلوق ذو منافع كثيرة.

^{٦٨} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أنّ ظاهر العبادة ليس ملاكاً للثواب بل هو بملاحظة العقل. ومنها: أنّ صورة العبادة في العاقل وغيره واحدة ولكن حقيقتها مختلفة. ومنها: أنّ قاصر العقل لا يجوز تكفيره بل يثاب قليلاً على قدر عقله (انظر شرح المولى صدرا ج ١ ص ٢٣٩). ومنها: إمكان تمثّل الملك بصورة إنسان وتكلمه مع غيره. ومنها: أنه لا

٩- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ ^{٦٩} فَانظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِهِ ^{٧٠}، فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِهِ. ^{٧١}

١٠- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع رَجُلًا مُبْتَلَى بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَ قُلْتُ: هُوَ رَجُلٌ عَاقِلٌ. ^{٧٢} فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَ أَىُّ عَقْلٍ لَهُ وَ هُوَ يُطِيعُ

ينبغي قصر منافع مخلوقاته تعالى والحكم على ما بلغت أنظارنا الناقصة. ومنها: أن المكان البعيد عن العيوب والأنجاس أصلح للعبادة. ومنها: أن أولى الأبصار يستعملون كل شيء أحسن استعمال.

^{٦٩} ككثره عبادته من الصلاة والصوم، ومحاسن الأخلاق كالجود والكرم.

^{٧٠} يقال: فلان عقله حسن بمعنى أن تعقله حسن (انظر الدر المنظوم ص ١٤٤).

^{٧١} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أن معيار الجزاء هو العقل، فالثواب والعقاب كثره وقلة على حسب العقل كثره وقلة. ومنها: أن حسن الحال ليس دليلاً على قدر العقل. ومنها: لا يكون حسن حال الشخص معياراً للجزاء يوم القيامة كما لا يكون عدم حسن حاله معياراً لقله ثوابه. ومنها: ينبغي أن يكون ملاك الحكم على كمالات الآخرين مبنياً على الواقع لا على الظاهر.

^{٧٢} الظاهر أن الراوى علم أن الوسواس رذيلة فأتى الإمام ليده على طريق علاج الرجل الذى ابتلى بهذه الرذيلة وذكر ضمن وصفه إياه أنه رجل عاقل. فأوقفه الإمام وقال إن الوسواسى ليس عاقلاً، ولو استعمل عقله علم أنه يتبع الشيطان فممنع نفسه عن ذلك.

الشَّيْطَانُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَ كَيْفَ يُطِيعُ الشَّيْطَانُ؟ فَقَالَ: سَلُهُ هَذَا الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ
أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ: مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ^{٧٣} ^{٧٤}.

١١- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ
رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ، ^{٧٥}
فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ ^{٧٦} مِنْ سَهْرِ ^{٧٧} الْجَاهِلِ، وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ

^{٧٣} انتباهه لذلك لا يدلّ على كونه عاقلاً. وإنما العاقل من إذا انتبه أن عملاً شرّاً اجتنبه.

^{٧٤} يستفاد من هذه الرواية أمور منها: أن العقل والوسواس لا يجتمعان. ومنها: أن الوسواس
إطاعة الشيطان. ومنها: أن العقل وإطاعة الشيطان لا يجتمعان. ومنها: أن الوسواس عمل
شيطانيّ وظاهره الحرمة.

^{٧٥} ولا يبعد أن تكون الأفضلية المذكورة في هذا الحديث بالنسبة إلى ما خلق الإنسان
معه، فلا تُنافى أن يكون شيء آخر مما لم يُخلق الإنسان معه أفضل منه كالإسلام
والولاية.

^{٧٦} لا يخفى أن نوم العاقل أي النوم الذي اختاره وفضّله العاقل بعقله على سائر الأفعال - و
من جملتها السهر - أفضل من سهر الجاهل أي السهر الذي اختاره الجاهل بدون التعقّل.
وذلك لأن العاقل ينظر في كلّ ما يريد أن يفعله ولا يختار شيئاً إلا إذا كان أهمّ من غيره
وأصلح. والجاهل بما أنّه لا يتعقّل، يختار ما يختار على أساس الهوى أو آرائه الباطلة
وربما يترك الأهمّ ويأخذ بالمهمّ. فمُفاد هذه الرواية أنّ العقل أفضل ما قسمه الله بين
عباده لأنّ الإنسان به يختار ما هو أهمّ وأصلح وإن كان أحسّ الحالتين في نظر العرف
كالنوم والإقامة. والجاهل يختار ما اعتاده أو ما اشتهاه أو ما أدّى إليه نظره القاصر خطأً،

شُخُوصٌ^{٧٨} الْجَاهِلِ. وَلَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا^{٧٩} حَتَّى يَسْتَكْمَلَ الْعَقْلَ^{٨٠}
وَيَكُونَ^{٨١} عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ عُقُولِ أُمَّتِهِ^{٨٢}. وَمَا يُضْمَرُ النَّبِيُّ فِي

وربما كان أفضل الحالتين في حدّ نفسه كالسهر والشخوص. فلا خصوصية لما ذكر في الرواية من النوم والإقامة، بل هما مثالان فقط لأحسنّ حالات العاقل في عباداته وأفعاله العادية. وكذلك السهر والشخوص. تنبيه: ليس الغرض من هذا الخبر ترجيح نوم العاقل مطلقاً وكذا إقامته مطلقاً إذ لا شكّ أنّ نوم العاقل وإقامته مرجوحان بالنسبة إلى سهره وشخوصه. واحتمل بعض الشراح أنّ للأفعال المذكورة خصوصيةً وأنّ نوم العاقل أفضل لأنّ العاقل لا ينام إلا بطهارة ودعاء والملائكة يستغفرون له ويكتبون له الصلاة ما دام نائماً، أو لأنّ العاقل لا ينام إلا بقدر الضرورة ويجعل نومه وسيلةً إلى عبادة أخرى (انظر شرح المازندراني ج ١ ص ٨٧) وكذلك احتمل بعضهم أنّ إقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل لأنّ روح الأعمال بالنيّات وقصد التقرب إلى الله، وذلك بعد المعرفة واليقين، والجاهل بمعزل عنها (انظر شرح المولى صدرا ج ١ ص ٣٤٩). والأظهر ما ذكرنا.

^{٧٧} سَهْرٌ - سَهْرًا: إذا لم ينام كلّ الليل أو نصفه (المعجم الوسيط). والمراد به هنا الاستيقاظ في الليل للعبادة، لأنّه صار مجازاً شائعاً في عرف المتشرّعة بعد ما كان مطلقاً في أصل اللغة، مضافاً إلى وجود قرينه في الحديث المذكور وهو أنّ المقصود قياس أحسنّ حالتى العاقل بأفضل حالتى الجاهل ولا شكّ أنّ ترك النوم ليس بأفضل الحالتين ما لم يُقرن بالعبادة.

^{٧٨} يقال شَخَّصَ من بلده وعنه - شَخْصًا: إذا خرج منه وشَخَّصَ إليه: إذا رجع إليه (المعجم الوسيط). والمراد هنا الخروج من البلد للعبادة أو كسب المال أو غيرهما من المقاصد الممدوحة.

نَفْسُهُ^{٨٣} أَفْضَلُ مِنْ اجْتِهَادِ الْمُجْتَهِدِينَ.^{٨٤} وَمَا أَدَّى الْعَبْدُ فَرَائِضَ اللَّهِ حَتَّى
عَقَلَ عَنْهُ.^{٨٥} وَلَا بَلَغَ جَمِيعُ الْعَابِدِينَ^{٨٦} فِي فَضْلِ عِبَادَتِهِمْ مَا^{٨٧} بَلَغَ الْعَاقِلُ.^{٨٨}

^{٧٩} فُرق بين النبي والرسول بأن الرسول هو المخبر عن الله بغير واسطة أحد من البشر وله شريعة ابتدائية كآدم أو ناسخه كمحمد ص. وبأن النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين. وبأن الرسول قد يكون من الملائكة بخلاف النبي (انظر مجمع البحرين مادة نبأ). وسيأتي كلام مفصل في الفرق بينهما في الباب الثالث من كتاب الحجّة من الكافي إن شاء الله.

^{٨٠} في القاموس: أكمله واستكمله وكمّله: أتمّه وجمّله. فمحصل المعنى: "حتى يسعى النبي أو الرسول في كمال عقل نفسه" وذلك بتوفيق من الله تعالى فإن أصل العقل هبة ويكمل بالعلم والعمل. وعلم من ذلك أن اللام في قوله "العقل" عوض من المضاف إليه كقوله تعالى: "فإن الجنة هي المأوى" أي: مأواه (النازعات ٤١). وأمّا قراءته على البناء للمفعول أو إرجاع الضمير إلى الله فبعيد (انظر مرآة العقول ج ١ ص ٣٧).

^{٨١} هو من "كان" بمعنى "صار" أي: يصير عقله أفضل.

^{٨٢} الجملة المعطوف عليها تدلّ على كمال عقله، والمعطوفة تدل على كون عقله أفضل من جميع عقول أمته أي: لو جُمع عقول الأمة وكان بعضها لبعض ظهيراً، لم تبلغ عقله بل كان عقله أفضل منها. فعلم أنها ليست عطف تفسير كما احتل بعضهم.

^{٨٣} القياس في هذه الفقرة نظير ما مرّ من قياس نوم العاقل على سهر الجاهل. بيانه أن معنى قولك: أضمرت في نفسي شيئاً، نويته من دون التكلم (انظر مجمع البحرين). فما يضمه النبي من نيّة، وهي أيسر أفعاله، أفضل من اجتهاد غيره لأنه لكامل عقله لا ينوي إلا ما هو أفضل وأصلح. ويحتمل أن يكون معنى الحديث أن المعرفة الصحيحة المبتنية على العقل

والنظر الصحيح إلى العالم أفضل من عبادة العابدين الذين ليس لهم تلك المرتبة من العقل وإتباعهم الجوارح بدون تلك المعرفة (انظر مرآة العقول ج ١ ص ٣٧).

^{٨٤} الاجتهاد هنا بمعناه اللغوي وهو مبالغة في الجهد والجد. والمراد به هنا تكلفهم للعبادات والطاعات الشاقّة الظاهرة، وذلك بقريته المقابلة بل ظاهر اللفظ يدلّ على ذلك. وليس المراد به ما فسّره صدر المتألّهين من قوة الاستنباط في المعارف الإلهية فقهيةً أم غيرها (شرح المولى صدرا ج ١ ص ٢٥٠).

^{٨٥} أى: "عقل عن الله وعرفه وعلم حقّ طاعته على العباد في أوامره ونواهيه"، وذلك ظاهر لأنّ أداء الفرائض لا يتصوّر بدون معرفتها المتوقّفة على معرفته تعالى، ومعرفته لا يتصوّر بدون العقل فهو الأصل لجميع ذلك (انظر شرح المازندراني ج ١ ص ٨٩). لم نقف في كتب اللغة على تعدّي "عقل" بـ"عن" في هذا المعنى. وظاهر الحديث أنّ "عقل عنه" بمعنى "عقله" وحيث أنّ تعقله تعالى غير ممكن لأنّه لا يحيط به العقول، عبّر بهذا التعبير أى: "عقل ما يمكن أن يُعقل في شأنه تعالى وعرفه بالمقدار الميسور".

^{٨٦} أى: مجموعهم من حيث المجموع فالمراد قياس فضيلة العاقل الواحد إلى فضيلة مجموع العابدين (انظر شرح المازندراني ج ١ ص ٨٩). وعنى بالعابدين الذين لم يكن عبادتهم ناشئة عن متابعة العقل (انظر الدرّ المنظوم ص ١٤٧) وذلك بقريته مقابلتهم للعاقل.

^{٨٧} أى مرتبةً بلغها العاقل.

^{٨٨} أى: "في فضل عبادته". فاللام للعهد الذهني بمصطلح البياتيين بقريته مقابلته لجميع العابدين (انظر المطوّل ص ٢٢٥ في مباحث التعريف باللام). والمراد بالكلام بيان أفضليته عاقل واحد من جميع العابدين غير العاقلين.

وَالْعُقَلَاءُ هُمْ أَوْلُو الْأَلْبَابِ^{٨٩} الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^{٩٠}: وَمَا يَتَذَكَّرُ^{٩١} إِلَّا أَوْلُوا
الْأَلْبَابِ^{٩٢}.

^{٨٩} اللب: العقل الخالص من الشوائب... فكل لبّ عقل وليس كل عقل لباً (مفردات الراغب).

^{٩٠} أى: "قال الله فيهم" فحذف الرابط لوضوحه.

^{٩١} لم يقرأ أحد من القراء المشهورين "يتذكر"، بل هو "يذكر" عند الكل. فلعله تصحيف فى الرواية أو إن الراوى خلط هذه الآية بما جاء فى الرعد والزمر أو هو قراءة أخرى لم تُنقل إلينا.
^{٩٢} البقرة ٢٦٩.

ترتبط فقرات الحديث بأن العقل هو أفضل ما قسم الله بين العباد لأن أفضل أفعال الله تعالى متوقّف عليه وأفضل أفعال الإنسان مشروط به. أما الأول: فهدايته للناس بطريق بعث الأنبياء والرسل، فإنهم لم يُبعثوا حتى بلغت عقولهم كمالها ولا شك أن الهداية أفضل أفعاله تعالى بالنسبة للإنسان. وأما الثانى: فتأدية الفرائض التى هى غاية خلق الإنسان ولا يتحصّل إلا بالتذكّر أى قبول الإنسان ما ذكره به الأنبياء. ولا شك أن فعل الإنسان ما طلب منه مولاه أفضل أفعاله.

و يستفاد منه امور منها: فضيلة كل ما يختاره العاقل على كل ما يختاره الجاهل. ومنها: ترتّب أداء فرائض الله على العقل. ومنها: أن ملاك فضل العبادة هو العقل. ومنها: أن التذكّر مختصّ بالعاقل. ومنها: أن الأنبياء أعقل الناس وأن كمال عقولهم سبب لجعلهم أنبياء وبعثهم إلى الناس لهدايتهم. ومنها: أن كل نبي أفضل من جميع أمته فنوح النبيّ أفضل من جميع أمته وسيّدنا محمد ص أفضل من جميع أمته حتى الأئمة عليهم السلام.